الفلسفة ثانية باك

مفهوم الحق والعدالة (المحور الأول : الحق بين الطبيعي والوضعي)

الأستاذ : حسن شدادي

الفهرس

I- الإشكالية
II- الموقف الفلسفي 1 : توماس هوبز
2-1/ النص الفلسفي
2-2/ الأسئلة
2-3/ التصور الفلسفي
III- الموقف الفلسفي 2 : جون جاك روسو
3-1/ النص الفلسفي
3-2/ الأسئلة
3-3/ التصور الفلسفي
IV- الموقف الفلسفي 3 : باروخ سبينوزا
4-1/ النص الفلسفي
4-2/ الأسئلة
4-3/ التصور الفلسفي
V- تركيب

I- الإشكالية

يعتبر الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتميز بوجود مزدوج، ينتمي إلى الطبيعة مثلما ينتمي إلى الثقافة.

يحدد كلود ليفي ستروس الطبيعي بما هو عام ومشترك بين أفراد النوع البشري، والثقافي بما هو خاص ونسبي.

- فهل الحق طبيعي أم وضعي ؟
- هل للفرد حقوق طبيعية ثابتة وسابقة على القوانين الوضعية أم أن الحق وضعي يستمد أساسه من المجتمع وخصوصياته الثقافية ؟

II- الموقف الفلسفي 1 : توماس هوبز

1-2/ النص الفلسفي

الحق الطبيعي

إن "حق الطبيعة"، والذي يسميه كُتَّاب السياسة عادة "عدالة الطبيعة"، هو الحرية التي تكون لكل واحد في أن يستخدم قوته الخاصة ليحافظ على طبيعيته، أو بعبارة أخرى، ليحفظ حياته. إن حق الطبيعة هو الحق في استخدام القوة التي تكون للفرد ليفعل كل ما يعتبرهُ حكمُه وعقلُه الخاصين أَحْسَن وسيلة لتحقيق غاية الحفاظ على ذاته. ونقصد بالحرية، طبقا لمعناها الخاص، غياب الموانع الخارجية التي من شأنها، في العادة، الحد من قدرة المرء على فعل ما يريده، من دون ان تستطيع منعه من استخدام ما تبقى له من قوة حسب ما يمليه عليه حكمُه وعقلُه.

أما قانون الطبيعة "الحق الطبيعي"، فهو مبدأ أو قاعدة عامة اكتشفها العقل، ويمنع بمقتضاها كل واحد من فعل كل ما من شأنه أن يقضي على حياته أو يحرمه من وسيلة الحفاظ عليها، أو يجعله يُهْمِلُ كلَّ مَا قد يحافظ عليه. والواقع، أن الذين يعالجون هذا الموضوع عادة ما يخلطون بين الحق الطبيعي والقانون الطبيعي، في حين يجب التمييز بينهما. فالحق يقوم على الحرية في فعل شيء ما أو الامتناع عنه، أما القانون فيلزمنا بالقيام بالفعل أو الامتناع عنه. يختلف إذن القانون عن الحق اختلاف الإلزام عن الحرية، ويتناقضان فيما بينهما إذا ما طبقا على نفس الموضوع. ولأن حالة الإنسان، كما بَيَّنتُ (...) هي حالة حرب الكل ضد الكل، وحيث يكون كل واحد يقوده عقله الخاص؛ ولأنه لا يوجد شيء لا يمكن استخدامه ضد الأعداء، ولا يمكنه ألا يساعدنا على الحفاظ على الحياة، فإن النتيجة هي أن لكل فرد، في هذه الحالة، الحق في كل شيء، بل وحتى حق البعض في أجساد البعض الآخر. ولهذا السبب لا يمكن لأي كان، مهما بلغت حكمته أو قوته، أن يضمن لنفسه البقاء حيا حتى النهاية الطبيعية لحياة الإنسان، ما دامت حالة حق الطبيعة التي يكون فيها لكل إنسان الحق في كل شيء، مستمرة(...) ويتفرع عن قانون الطبيعة هذا، والذي يُطلب بمقتضاه من الناس أن يبحثوا عن السلم، قانون ثان: وهو أن نقبل، عندما يقبل الآخرون أيضا، التخلي عن حق التصرف في كل شيء بما يسمح بالسلم وبالحفاظ على الذات؛ وأن نكتفي بنفس القدر من الحرية الذي يكتفي به الآخرون. وبقدر ما يحافظ كل واحد منا على حق القيام بما يريد بقدر ما نكون في حالة حرب.

طوماس هوبز، **الليفيتان**، ترجمة فرنسية، جيرار ميري، غاليمار، 2000، ص: 229 – 233.

Thomas Hobbes, Léviathan .

2-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه هوبز.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن هوبز يجيب عنه.

2- أبني أطروحة هوبز من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب هوبز عن الإشكال المطروح :أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أحكم على أطروحة هوبز وقيمتها الفلسفية من خلال :

- بيان ما إذا كان مضمون هذه الأطروحة ما يزال يحتفظ براهنيته أم أصبح متجاوزا.
- بيان طبيعة الحجاج الذي تقوم عليه الأطروحة، مع إبراز ما إذا كان مقنعا من حيث تطابقه مع مبادئ العقل أو الواقع أو العلم...

2-3/ التصور الفلسفي

يرى هوبز أن الحق ذو بعد غريزي، فهو متأصل في الطبيعة المتوحشة للإنسان، والتي تدخله في علاقات تلزمه باستعمال كل الوسائل التي قد تتوفر له للمحافظة على طبيعته الخاصة.

ويكمن الحق الطبيعي في الحرية التي يتمتع بها الإنسان في أن يفعل كل ما تتطلبه صيانة حياته، غير أن الوضعية التي عليها البشر والتي يسعى ضمنها كل واحد إلى حفظ مصلحته تتحول إلى "حرب الكل ضد الكل" (حرب أهلية مزرية).

هكذا فالمبدأ الذي يتأسس عليه الحق في هذه الحالة هو حفظ البقاء بكل قوة كامل الحرية، لكن وما دام كل واحد يسعى لحفظ بقائه، فإنه لا بد ولا مفر من ممارسة الحق في الحرية في حدود ما يشرعه العقل ويسمح به.

III- الموقف الفلسفي 2 : جون جاك روسو

1-3/ النص الفلسفي

العقد الاجتماعي

هذا الانتقال من حال الطبيعة إلى الحال المدنية أوجد في الإنسان تبدلاً ملحوظاً، إذ أحل، في سلوكه، العدل محلّ الوهم الفطريّ، وأكسب أفعاله أدباً كان يعوزه من قبلُ. عند ذاك فقط، إذ حلّ صوت الواجب محلّ الباعث المحرّك الجسماني والحقّ محلّ الشهيّة، اضطرّ الإنسان، الذي ما كان إلى ذلك اليوم ينظر إلا إلى نفسه، اضطرّ أن يسير على مبادئ أخرى وأن يستشير عقله قبل أن يصغي إلى ميوله. إنه وإن يكن قد حُرم، في هذه الحال، مزايا كثيرة استمدها من الطبيعة، فلقد اكتسب بدلاً منها مزايا أخرى كبيرة: لقد انجلت قواه العقلية ونمت، واتسعت أفكاره، ونبلت عواطفه، وسمت نفسه كلّها حتى إنه كان يجب عليه– لولا أنه تجاوز الحدّ وأسرف في هذه الحياة الجديدة، مما جعله أحطّ منزلة منه في الحياة التي خرج منها– كان يجب عليه أن يبارك، بلا انقطاع، الساعة السعيدة التي انتزعته من تلك الحياة إلى الأبد، والتي جعلت منه كائناً ذكياً ورجلاً، بعد أن كان حيواناً بليداً محدود الفهم.

وقصارى القول، في تعبير تسهل به الموازنة بين ما يفقده وما يجنيه من ربح، إنّ ما يفقده الإنسان، بالعقد الاجتماعي، هو حريته الطبيعية، والحق غير المحدود الذي كان له على كل ما يستهويه ويجنيه ويمكنه الوصول إليه، وأما ما يكسبه فالحرية المدنية وملكية جميع ما يقتنيه، واجتنابا لوقوع الخطإ في هذه المقاصات يجب الحرص على التمييز بين الحرية الطبيعية، التي لا حدود لها إلا قوى الفرد، والحرية المدنية التي تحدّها الإرادة العامة، والتمييز بين وضع اليد والاستيلاء الذي ليس إلا نتيجة القوّة أو حق المستولي الأول، والتملك والملكية التي لا تقوم إلا على سند عملي إيجابي.

ويمكننا أن نضيف، إلى مقتنى حال المدنية، الحرية الأدبية التي، هي وحدها، تجعل الرجل سيد نفسه، لأن الباعث المندفع من الشهية وحدها هو "عبودية"؛ والطاعة للقانون الذي فرضناه على أنفسنا هي "حرية".

جون جاك روسو، **العقد الاجتماعي أو مبادئ القانون السياسي**، ترجمه إلى العربية بولس غانم، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، 1972، ص: 31.

2-3/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه روسو.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن روسو يجيب عنه.

2- أبني أطروحة روسو من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب روسو عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

3-3/ التصور الفلسفي

إن حالة الطبيعة التي كان يعيشها الإنسان باعتبارها حالة افتراضية خالية من الحقوق، لا تعني نشوء الحق على أساس القوة المنبعثة من الطبيعة الإنسانية، فالتغيرات الطارئة على الحياة الإنسانية فرضت على الجميع الدخول في عقد اجتماعي هو بمثابة اتفاق وتعاقد بين إرادات أفراد يخلق إرادة عامة، يخضع لها جميع المواطنين، وتنقلهم من حالة الطبيعة إلى حالة المدينة/المجتمع التي تجسد الحرية الأخلاقية التي تسمح للفرد بأن يكون سيدا على نفسه.

(ليس الأقوى بقوي دائما قوة تجعله يسود أبدا إذا لم يحول قوته حقا والطاعة واجبا).

IV- الموقف الفلسفي 3 : باروخ سبينوزا

4-1/ النص الفلسفي

أعني بالحق الطبيعي وبالتنظيم الطبيعي القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد ، وهي القواعد التي ندرك بها أن كل موجود يتحدد وجوده وسلوكه حتميا على نحو معين . فمثلا يتحتم على الأسماك، بحكم طبيعتها، أن تعوم وأن يأكل الكبير منها الصغير، طبقا لقانون طبيعي مطلق. والواقع أننا إذا نظرنا إلى الطبيعة في ذاتها ، نجد أنها تتمتع بحق مطلق على كل من يدخل تحت سيطرتها، أي أن حق الطبيعة يمتد بقدر امتداد قدرتها..

وعلى ذلك فإن الحق الطبيعي لكل إنســـان يتحدد حسب الرغبة والقدرة، لا حسب العقل السليم. وليس في طبيعة جميع الناس أن تتفق أفعالهم مع قوانين العقل، بل على العكس يولد الجميع في حالة من الجهل المطبق. وقبل أن يستطيعوا معرفة النموذج الصحيح للحياة وممارسة الحياة الفاضلة ، يكون الجزء الأكبر من حياتهم قد انقضى، حتى ولو كانوا على مستوى عال من التربية. على أنهم يكونون خلال ذلك مضطرين إلى أن يعيشـــوا وإلى أن يبقوا، بقدر استطاعتهم ، على حالتهم الراهنة ، أي أن يخضعوا لدافع الشـــهوة وحده، لأن الطبيعة لم تعطهم سواه، وحرمتهم من القدرة الفعلية على الحياة وفقا للعقل الســـليم ، ومن ثم فهم لا يستطيعون العيش طبقا لقوانين الذهن الصحيح كما لا يستطيع القط أن يحي طبقا لقوانين طبيعة الأســـد؛ وعلى ذلك فإن كل ما يراه الفرد الخاضع لمملكة الطبيعة وحدها نافعا له (ســـواء أكان في ذلك مدفوعا بالعقل الســـليم، أم بقوة انفعالاته) يحق له أن يشتهيه طبقا لحق طبيعي مطلق ، وأن يســـتولي عليه بأية وسيلة، سواء بالقوة، أو بالمخادعة، أو بالصلوات، أم بأية وســـيلة أخرى أيســـر من غيرها؛ وبالتالي يحق له أن يعد من يمنعه من تحقيق غرضه عدوا له.

ونســـتنتج من ذلك أن الحق والتنظيم الطبيعيين اللذين ينشأ فيهما جميع الناس ويعيشون بموجبهما طوال الجزء الأكبر من حياتهم.. لا يمنعان النزوع ولا الكراهية ولا الغضب ولا الخداع ولا أي شيء تدفع إليه الشهوة. ولا عجب في ذلك ؛ إذ أن الطبيعة لا تقتصر على قوانين العقل الإنساني الذي يعد هدفه الوحيد هو المنفعة الحقيقية والمحافظة على البشر، بل إنها تشتمل على ما لا نهاية له من القوانين الأخرى المتعلقة بالنظام الأزلي للطبيعة بأكملها، التي لا يمثل الإنسان إلا جزءا ضئيلا منها. وضرورة هـــذا النظام هي وحدها التي تحتم على كل الموجودات الطبيعية أن توجد وتســـلك بطريقة معينة .

اسبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة، 1971، ص: 377-380.

4-2/ الأسئلة

1- أبني الإشكال من خلال :

- إبراز الموضوع الرئيسي الذي يعالجه سبينوزا.
- صياغة السؤال الذي يفترض أن سبينوزا يجيب عنه.

2- أبني أطروحة سبينوزا من خلال :

- تفكيك فقرات النص بناء على الروابط المنطقية.
- تحديد وظيفة تلك الروابط المنطقية (العرض، الإثبات، النقد ..).
- استخلاص جواب سبينوزا عن الإشكال المطروح : أهو إثبات لموقف سابق ؟ أم عرض لموقف خاص ؟ أم انتقاد لموقف مغاير ؟

3- أستنبط البنية المفاهيمية للنص من خلال :

- استخراج المفاهيم المعتمدة في النص.
- ترتيبها في شكل خطاطة بدءا من العام إلى الخاص.
- كيفية توظيفها لبناء الأطروحة الواردة في النص.

4- أناقش أطروحة صاحب النص من خلال :

- المقارنة مع أطروحة هوبز وأطروحة روسو.

- طبيعة الحجج المعتمدة في النصوص الثلاثة مع بيان نقط التشابه والاختلاف.

3-4/ التصور الفلسفي

بما أن حالة الطبيعة تضر الناس أكثر مما تنفعهم، وتهدد حياتهم واستقرارهم، ولأن الحقوق التي كانت لهم في تلك الحالة أصبحت الآن تنتمي إلى الجماعة، ولم تعد تملى وفقا للقوة أو الشهوة البيولوجية، فإن اسبينوزا يؤكد على أهمية تشييد مجتمع سياسي قائم على التعاقد الإرادي والحر، من شأنه أن يولي أهمية للحق المدني المتوافق مع مبادئ العقل والسلم.

(إن الطبيعة لا تقتصر على قوانين العقل الإنساني الذي يعد هدفه الوحيد هو المنفعة الحقيقية والمحافظة على البشر، بل إنها تشتمل على ما لا نهاية له من القوانين الأخرى المتعلقة بالنظام الأزلي للطبيعة بأكملها).

V- تركيب

يمكن القول أن أهم إنجاز أنجزه الإنسان على مستوى الفكر السياسي، كان هو تأسيس فكرة الحق باعتباره معيارا منظما لحياته في علاقته بذاته وبغيره، بناء على التمييز بين مضامين الحق الطبيعي والحق الوضعي، وجعل الثاني يفصل الإنسان عن حالته الطبيعية ويدخله إلى حالته المدنية المعترفة ببعض حقوقه الطبيعية الملائمة لجوهر طبيعته الإنسانية المتمثلة في الحق وفي الحياة والأمن، وربط حريته بتنازله عن حيوانيته وقوته.